دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: التشكيل الرومانسي للموروث والسائد في رواية رجاء الصانع بنات الرياض
المصدر: قوافل
الناشر: النادي الأدبي بالرياض
المؤلف الرئيسي: ثابت، محمد رشيد
المجلد/العدد: ع28
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2012
الشهر: يناير / صفر
الصفحات: 8 - 17
رقم MD: 834107
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: HumanIndex, AraBase
مواضيع: الأدب العربي، رواية بنات الرياض، الصانع، رجاء، النقد الأدبي
رابط: http://search.mandumah.com/Record/834107

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التشكيل الرومانسي للموروث والسائد في رواية رجاء الصانع

"بنات الرياض"

محمد رشيد ثابت *

تتشكل الذات المنشئة في العمل القصصي عموما، وفي العمل الروائي تحديدا انطلاقا من كفاءات التصرف في عديد المرجعيات، على امتداد حركة خطابها ملفوظا وفعل تلفظ، فتصوغ عبر هذه الحركة صور وعيها بذاتها وبالعالم. من هذه المرجعيات ما يتعلق بالتركيب اللغوي والبلاغي والأجناسي وبالموروث والسائد من الثقافات. تتصرف فيها مختلف أساليب السرد والوصف والحوار والرؤية، في مستوى فعل التلفظ، وفي مستوى المادة الحكائية الملفوظة: حبكة حدثية وشبكة شخصيات وفضاءات زمنية ومكانية.

وقد بات من المعروف أن تلك الكفاءات، وهي تقيم، في فعل إنشائها، معينات ارتسامها المختلفة، تعيد إنتاج مقومات بناء العمل الروائي، وفق اختياراتها، فتترك في خطابها، آثارا متنوعة الأشكال من تصرفها المخصوص في هذا البناء، وتجري، من خلال هذه الآثار، مظاهر فرادة واختلاف، بها تتميز من عمل إبداعي إلى آخر، ومن تجربة فنية إلى أخرى، وبها تتواصل وتنفصل عن الموروث الجماعي والسائد الثقافي.

وتعمل هذه المقاربة على تدبر المظاهر المذكورة، انطلاقا من دراسة فن تشكل رواية من الروايات السعودية المعاصرة كان لتلقيها أصداء عديدة ومختلفة في أوساط قرائها.[1]: "بنات الرياض" للكاتبة السعودية رجاء الصانع.

ولعل من أهم دلائل تلك الأصداء صدور هذه الرواية في سبع طبعات متوالية، خلال ثلاث سنوات فقط، منذ صدور طبعتها الأولى، سنة ٢٠٠٥ إلى صدور طبعتها الأخيرة (فيما نعلم) التي نعتمدها في هذا البحث، ط.٧، سنة ٢٠٠٧.

وتحاول نفس المقاربة كذلك، استخلاص ملامح الذات التي تستقطب تلك المظاهر وتؤلف بينها فتسلط أضواء على صورة من صور أدبيتها وتسعى إلى استجلاء ما يربط رواج هذه الصور باتساع دائرة تلقيها.

* أستاذ بجامعة الملك سعود

يظل متلقو رسائلها الإلكترونية يبحثون عن القناع

في المادة الحكائية ومكوناتها:

ترتبط جل أحداث هذه المادة، على اختلاف من يرتبط بها من شخصيات فردية بظاهرة عامة تتردد في الموروث والسائد، ظاهرة الزواج، أسبابها ونتائجها.

فالذات الساردة، وهي تروي قصص أربع فتيات تشملهن هذه الظاهرة، تتابع، لا محالة تفاصيل ما لقين في هذا المجال، من نجاح أو صعوبات وخيبة، إلا أنها ترصد خاصة دواعي ذلك وانعكاساته عليهن، وجدانيا وماديا، بما في ذلك الراوية نفسها، فرغم أن هذه الراوية غير مضمنة في الأحداث بل منفصلة عنها، إذ ترويها منسوبة إلى ضمير الغيبة، مفردا أو جمعا لا تعد نفسها مخبرة عن صديقاتها فحسب وإنما تعدها مخبرة عن ذاتها الخاصة منغرسة في ذات هذه الصديقات.

لذلك يظل متلقو رسائلها الإلكترونية يبحثون عن القناع الذي يحجب هويتها ويخفيها وراء تلك الصديقات، فتجيب رفعا لهذا الالتباس:

"أنا كل واحدة من صديقاتي، وقصتي هي قصصهن"(٢).

فالذات الساردة، إذن، خارجة عن الأحداث وطرف فيها في الآن نفسه، والضمير "هو" يشكل في وجه من وجوهه، صورة من صور الأنا، على غرار ضمير الغيبة في "أيام" طه حسين وحجبه لذاته. والإخبار عن الآخر والتغني بمختلف أحواله يتجه كذلك إلى الإخبار والتغني بالأنا وذاته.

وانطلاقا من علاقة الانفصال والاتصال المذكورة بين أحداث الحكاية وشخصياتها، وبين الذات الساردة، فإن فضاءات هذه الحكاية، تبدو هي أيضا، قائمة على نفس العلاقة. فالذات الساردة واصفة لفضاءات الأحداث من خارجها بكل سائدها وموروثها: "اكتشفت ميشيل أن وباء التناقض في بلدها قد استفحل حتى طال أبويها"(٣). ولكنها، وهي كذلك، تصفها من موقع المضمن فيها والعليم بخباياها: "إن مجتمعنا السعودي أشبه بكوكتيل الطبقات التي لا تختلط فيها أي طبقة بالأخرى إلا بالضرورة"(٤). فالعلاقة جد وثيقة بين تلك الذات وموضوع سردها ووصفها، بل إن هذه العلاقة تتجه نحو المطابقة بين الطرفين: ذات تخبر عن موضوع هي جزء منه لا تتجزأ، موروثا وواقعا: "لقد أصبحت هذه القصة حياتي"(٥)

في الخطاب السردي واختيارات إنشائه

يبين التحليل السابق أن الذات الساردة الواصفة في خطاب "بنات الرياض" متراوحة بين ضمير الأنا وضمير الهو، بين الذات وموضوعها، يجمع تلفظها بين الوظيفة الإخبارية والوظيفة التعبيرية، لذلك ندرس اختيارات إنشاء هذا الخطاب ناهضة بهاتين الوظيفتين مجتمعتين، رغم ما يبدو في ظاهر التركيب من فصل بين الـ"هو" موضوع الإخبار والأنا القائم به. وهذا فضلا عما يؤدي وظيفة الخطاب الإنشائية انطلاقا من اختياراته الفنية:

١- حركة تنامي الخطاب الروائي عبر وحدات الرسائل الإلكترونية:

يتكون خطاب "بنات الرياض" من عديد المكونات أبرزها: توظيف الذات الساردة، في تواصلها مع القراء، للرسائل الإلكترونية، بدلا من التقسيم الشائع والمتداول إلى فصول وأبواب... فالرواية تتكون من خمسين رسالة إلكترونية أو "إيميلا"، بمعدل رسالة، يوم الجمعة من كل أسبوع على امتداد حوالي أربعة عشر شهرا،تنطلق من ١٣ فيفري ٢٠٠٤ لتقف عند ١١ فيفري ٢٠٠٥. لذلك "أصبح يوم الجمعة أكثر قداسة من ذي قبل"(٦).

يحمل كل من هذه الرسائل عنوانا خاصا وتاريخا يحدد زمن

إرسالها.

ورغم أن هذه الطريقة التي لم تقطع صلتها، في تنامي الخطاب، بأنساق تركيبه الشائعة في الموروث القصصي والتي بلور أكثرها الشكلانيون الروس منذ الربع الأول من القرن العشرين.(٧)، مثل نسق التعاقب والتوازي والتناوب ... فإن الاختيار التقني المطبق في تقسيم الرواية ، يمثل، في الظاهر على الأقل، شكلا من أشكال اختراق الذات المنشئة للنموذجي والسائد في بناء الخطاب الروائي والتصرف فيه بما يضفي على هذا الخطاب وجها أول من وجوه فرادته واختلافه، ومظهرا من مظاهر رومنسيته متمثلا في "الخروج عن الضوابط والقواعد الكلاسيكية"(٨).

ولعل من أهم ما يشجع على إجراء هذه الطريقة في الإنشاء الروائي، التعرف، كل أسبوع، على ردود فعل الجمهور المتلقي "للإيميلات" وتعديل الذات لإنشائها في ضوء ما ترصده من هذه الردود والأصداء، فتقول، مثلا، عقب التعليقات التي وصلتها عن نشر رسالتها الإلكترونية الخامسة: "إذا بدأتم الحرب علي في الإيميل الخامس، فماذا ستقولون عني بعد قراءة الإيميلات القادمة؟ "جايكم خيرّ"! (٩).

والغالب أن هذه الطريقة المنتهجة في صياغة الخطاب ومراجعته التدريجية في ضوء تعليقات جمهوره قد حققت بعض أهدافها إذ تم الحد من المشروع الروائي المعلن فانطلق من رغبة تغيير الموروث والسائد "إليكم أكتب رسائلي، علها تقدح الزناد فينطلق التغيير"(١٠) لينتهي إلى طلب اعتباره "جنون مراهقه" وحلما جميلا "أخشى مغبة تسميتها رواية، فهي مجرد جمع لهذه الإيميلات المكتوبة بعفوية وصدق. إنما مجرد تاريخ لجنون فتاة في بداية العشرينات... إنها طفلي الذي يعز علي فطامه بعد سنة من الرضاعة، فأرجوكم كونوا لطفاء مع هذا الصغير!"(١١).

فكأن الذات المنشئة مثلما ظلت متراوحة بين الخروج عن الأحداث والانخراط فيها، بين الغياب والحضور، ظلت كذلك بإنجازها لمشروعها بين تطلعات الحلم الرومنسي وضغوط الواقع المعيش ومختلف موروثاته.

٢- حركة تركيب الخطاب على الخطاب:

يتميز خطاب "بنات الرياض" كذلك بتعدد عتباته وفواتحه: ففضلا عن تعدد الأصوات وتداخلها في الخطاب الواحد، خطاب الرسائل الإلكترونية، تمهد له الذات المنشئة بالعتبة تلو الأخرى،حتى تعاقبت أربع عتبات مختلفة الأشكال والوظائف في مطلع كل رسالة:

١- عنوان موقع الرسالة الإلكترونية

٢- ملخص موضوع هذه الرسالة

٣- مقطع مستشهد به من أحد المصادر والمراجع المختلفة

٤- تعليق الذات المنشئة على كل من رسائلها مقترن، في الغالب، بخلاصة تلقيها، كل أسبوع من قبل قرائها.

وهذا، فضلا عن نص الإهداء(١٢) ونص الترحيب بالردود المنتظرة على الرسائل الإلكترونية(١٣).

وبصرف النظر عن الخطاب الأول من هذه العتبات، خطاب البحث عن التواصل مع القراء، تميل الذات المنشئة في الخطابات الثلاثة الأخرى وبواسطتها، إلى تأول خطابها الروائي، إذ تقول مثلا ، في التعليق على بعض مقاطعه: "كل ما أقوله تعرفه البنات جيدا في مجتمعي أو في محيطي"(١٤). فالموروث في هذا المحيط واحد وإنما الاختلاف في التعبير عنه والتفاعل معه.

ومثلما كانت تلك العتبات على اختلاف صياغتها علامة تضخم الذات ونزوعها إلى ربط خطابها بالتعليق عليه وتأويله وتعقب أصدائه، من خلال الجمع بين الصوت وصداه انطلاقا من نفس موقعها، كانت كذلك مجالا لترديد العديد من ألوان السائد الثقافي وموروثه: أشعارا(١٥) وأغاني(١٦) فصيحة

يتكـون خطـاب " بنـات الريـاض" من عديد المكونات

وعامية، فاقترن ذلك التضخم بتوجه غنائي يعد ملمحا بارزا من ملامح رومنسية هذه الذات قوامه "محو الحدود بين النثر والشعر"(١٧) بل بين مختلف الأجناس والفنون، من ذلك اقتباسها مقاطع من قصيدة نزار قباني "يوميات امرأة"، بل أن تتخذ من هذه القصيدة "المحرض الأول على كتابة الرواية برمتها"(١٨) وأن تجعل من شعريتها النموذج المنشود: "صح لسانك يا نزار قباني، رحمك الله".. صدق من لقبك بشاعر المرأة "ومن لا يعجبه ذلك، فليشرب من البحر، ففي الحب لا بعدك ولا قبلك كما تقول الأغنية المعروفة"(١٩).

ويتدعم ذلك الملمح بجملة أخرى من الملامح المماثلة نتابعها فيما يلي من الاختيارات اللغوية والتركيبية والدلالية ومن معينات ارتسام الذات الرومنسية في رسائل الخطاب الروائي الإلكترونية:

٣- معينات ارتسام الذات الرومنسية في لغة الخطاب وتركيبه البلاغي والقصصي:

أ- في مجال الوحدات اللغوية، ألفاظا وتراكيب:

في التلفظ بالرسائل الإلكترونية ترد عديد الوحدات الدالة على الذات من زوايا مختلفة.

تقسم هذه الوحدات إلى خمسة حقول دلالية قائمة على علاقات تقابلية: حقل الحب والكره، وحقل الجمال والقبح، وحقل الفرح والحزن، وحقل اليأس والأمل، وحقل الهدوء والتوتر.

- فمن حقل الحب والكره ومشتقاته المختلفة جامعا بين مواقف الذات الوجدانية يتردد في الرواية ما يزيد على مائتي وحدة ترتبط بهذا الحقل تركيبا ودلالة:

ألفاظ أو تراكيب محورها "الحب"

كثير من الحب وكثير من الحنان (صفحة ٣٤)

زوجي الذي أحبه (صفحة ٦٠)

إيميلات الحب والشوق والاستعطاف (صفحة ١٨٣)

يعشقها (صفحة ٢٣٩)

ظلت تغازلني (صفحة ٢٦١)

يقودها عاشق أضناه الشوق (صفحة ٢٧١)

جن العاشقان (صفحة ٢٧٣)

مغازلة خطيبته (صفحة ٢٨٢)

ألفاظ أو تراكيب محورها "الكره"

يكرهني (صفحة ٦٠)

الزوجة المفروضة (صفحة ١١٤)

ضيقها وتبرمها به (صفحة ١٢٣)

تكره أن تفعل ذلك (صفحة ١٣٤)

الغضب والسخط على العالم (صفحة ٢٢٩)

لم تعد تطيق العيش معه (صفحة ٢٣٧)

حنقها عليه جعلها حانقة على كل شيء (صفحة ٢٤٧)

كرهها لفراس وحقدها عليه (صفحة ٣٠٥)

- ومن حقل الجمال والقبح دالا على رؤية الذات لذاتها ولغيرها وعلى المنطلق الوجداني لهذه الرؤية، نذكر هذه النماذج:

ألفاظ أو تراكيب محورها "الجمال"

قصة الحب الجميل (صفحة ١٣)

أحلى عروسة (صفحة ١٧)

بدت... شابا وسيما ناعما (صفحة ٢٣)

تقسيماته العذبة (صفحة ٣٠)

المناظر الجميلة (صفحة ٧٦)

صدفة حلوة (صفحة ١٣٤)

مغامرة ممتعة (صفحة ١٨٥)

شخصيته الجذابة (صفحة ٠٠)

ألفاظ أو تراكيب محورها "القبح"

إنجليزيته الركيكة (صفحة ٣٤)
الغباء الزفتي (صفحة ٤٢)
شاهدين قبيحين (صفحة ٧٦)
صورته المشوهة (صفحة ١٢٩)
البيئة المتعفنة (صفحة ١٤٢)
سليطة اللسان (صفحة ٢٩٩)
شكل قبيح (صفحة ٣٠٠)
المجتمع المريض (صفحة ٣٠٦)

- ومن حقل الفرح والحزن معبرا عن تفاعل الذات الوجداني مع الموصوفات، نشير إلى الأمثلة الموالية:

ألفاظ أو تراكيب محورها الفرح

كانت فرحتها بالخطوبة والعريس... (صفحة ٦١)
استقبال الفرح المنتظر (صفحة ١٣٣)
نهض...مرحبا بفرح ظاهر (صفحة ١٣٤)
(كانا)فرحين بعودتها (صفحة ١٤١)
ما أحس به في داخلي من فرح (صفحة ٢٠٠)
واعتزاز (صفحة ٢٣٩)
فرح والد ميشيل (صفحة ٢٢٩)
أفرح إذا ما قرأت عني خبرا (صفحة ٢٤٩)
طارت من الفرحة (صفحة ٢٩١)

ألفاظ أو تراكيب محورها الحزن

أضافت بحزن (صفحة ١٠٧)
مثل هذه القصص والأحزان (صفحة ١١٢)
قررت أن تدفن أحزانها (صفحة ١٣٣)
أحزان كل البشر (صفحة ١٣٤)
يتفتت قلبه حزنا بحزنها (صفحة ٢٢٠)
أحزانها هذا العام تعادل (صفحة ٢٣٥)
كانت تؤلمه الدمعة الواحدة (صفحة ٢٨٢)
لم تشعر بحزن (صفحة ٢٨٥)
ماحيا كل ما سبقه من تعاسة وأحزان (صفحة ٣١٨)

- ومن حقل الأمل والخيبة دالا على أحوال الذات وعلاقتها بذاتها وبالعالم، نعرض هذه العينات:

ألفاظ أو تراكيب محورها الأمل

يبدو أن الفرح قد حان (صفحة ١٥)
قضت بين أهلها ما يقارب (صفحة ٦٣)
يتمنى أن تبقى في الرياض (صفحة ٦٤)
تتحدث عن آمالها الكبيرة (صفحة ١١١)
طموحها أن تستمر في العمل الإبداعي (صفحة ٢٥٠)
يتمنى أن يجد فتاة في مثل وعيها (صفحة ٢٧٥)
دون أن تقطع حبل آماله وأمالها (صفحة ٢٧٥)
لم يعد الأمل الذي تعيش من أجله (صفحة ٢٨٥)

ألفاظ أو تراكيب محورها الخيبة

كانت قد فشلت في الامتحان (صفحة ٤١)
حتى يداروا خيباتهم (صفحة ٨٢)
زواج محكوم عليه بالفشل مسبقا (صفحة ٩٤)
الأحزان وخيبات الأمل (صفحة ١١٢)
تجربتها الفاشلة (صفحة ٢٥١)
الله يفشلهم (صفحة ٢٦٨)
كبرياؤها المجروح (صفحة ٢٨١)
كل شيء انهار فجأة (صفحة ٢٩١)

- وفي آخر ما نستخرج من حقول دلالية، حقل الهدوء والتوتر وما يقيمه من صور تقبل الذات لعالمها، نبسط ما يلي:

ألفاظ أو تراكيب محورها "الهدوء"

المكان الآمن للعشاق (صفحة ٣١)
كان جو المطعم هادئا رومنسيا (صفحة ٧٥)

يتـردد في صيغ القص حـدث الارتباط الزوجي ٣٥٠ مرة

هل كان هذاهو الاستقرار العاطفي؟ (صفحة ١١٦)
(كانوا) في غاية اللطف معا (صفحة ٢٢٣)
أوسدتها دفترها السماوي بحنان (صفحة ٢٧٠)
محاولة إسعاد صديقه وطمأنته وتهدئة ضميره (صفحة ٢٨٣)
تطمئن قليلا ويهدأ اضطرابها (صفحة ٣١٣)

ألفاظ أو تراكيب محورها "التوتر"

مازال غاضبا (صفحة ٤١)
أصبح.. مصدر إزعاج (صفحة ٦٠)
عصبي سريع الانفعال (صفحة ٦٥)
حالة من الهستيريا أقرب إلى الجنون (صفحة ١٠١)
متوترة وسريعة الانفعال (صفحة ١٤١)
حالها الذي يقطع القلب (صفحة ٢١٩)
يزداد غضبها بدلا من أن تهدأ (صفحة ٢٣٤)
ثارت عليه ذات ليلة (صفحة ٢٨٣)

وتشترك هذه الاختيارات اللغوية، على اختلافها، في تحديد أحوال الذات المنشئة متراوحة بين قطبين متقابلين يقيمان تغنيها ورومنسيتها على تنازع درامي، نحاول فيما يلي، تتبع آثاره، من معينات هذه الذات في مجالي التركيب البلاغي والتشكيل القصصي:

ب- في مجال التركيب البلاغي:

ترتسم، في خطاب الذات، صور مجازية معبرة عن أحوالها الوجدانية وعن وجوه تنازعها الدرامي المقيم لمظهرها الرومنسي، متمثلا في صراع بين شكلين من تفاعل هذه الذات مع غيرها من المواضيع:

شكل يوحي بالإشراق والتفاؤل، مثل:
"خرجت من الصالة وفي قلبها عصافير تزقزق"[٢٠]
وشكل آخر مقابل له يوحي بالإحباط والخيبة، مثل:
"خذلها بعد أن علق في جيدها، قلادة الأمل"[٢١]

ت- وفي مجال التشكيل القصصي:

يستقطب الخطاب السردي، في جل الفصول، حدث الارتباط (الزواج) ونقيضه الانفصال (الطلاق). ويغلب على العلاقة بين الشخصيات، تراوحها، هي أيضا بين الحدثين السابقين، وما يقترن بهما من انعكاسات مختلفة الأشكال والمستويات:

- فمن ثنائية الارتباط والانفصال:

يتردد، في صيغ القص، سردا ووصفا، حدث الارتباط (الزوجي) حوالي ٣٥٠ مرة بمختلف مرادفاته، مثل: "الزوج" (بنات الرياض، ص. ١٢) و "الزفاف" (ص ٢٨). و "القرآن" (ص. ٣٨) و "العرس" (ص. ٢٩٩)... وتذكر مجموعات أخرى من الألفاظ المتعلقة بهذا الحدث والمهيئة له عشرات المرات، مثل "يطلب يدها" (ص. ٦٣) و "تخطبها" (ص. ٢٩٩).

ومقابل صيغ الارتباط، تتواصل كذلك صيغ الانفصال، (الطلاق) ومختلف مشتقاتها أكثر من ثلاثين مرة، مثل: "طلقها" (ص. ٨٦)، و "مطلقة" (ص. ١٦٣)
و "تطلقت" (ص. ١٨١) و "المطلقون" (ص. ١٩٥).

والغالب أن تكرار هذه الصيغ، مماثلة أو متقابلة يجعلها تتجاوز وظيفة الإخبار لتنهض بوظائف أخرى، تسهم هي أيضا في إضفاء المظهر الرومنسي[٢٢] على الخطاب، أهمها الوظيفة التعبيرية القائمة على التغني بالحدث، تغني إعجاب أو تمرد ويأس، أو الوظيفة الدرامية التي يمثلها تنازع صياغة حدثي الارتباط ونقيضه الانفصال بين الحالة الوجدانية وضدها، في التعبير عن أزمة الذات ومعاناتها.

وعند ربط حركة الارتباط والانفصال بالشخصيات والأحداث وفضاءاتها، نتبين كذلك أن هذه الحركة تتشكل، في مستوى الفضاء المكاني، من خلال فعلي الرحيل والعودة. وتشمل هذه الحركة خاصة، الشخصيات المحورية:

- فقمرة تسافر مع زوجها راشد الثنبل إلى أمريكا لتعود إلى

بيت أهلها في الرياض.

- ولميس عند زواجها من نزار تعود إلى الرياض بعد سفرها إلى كندا.

- وميشيل تعود إلى نفس المدينة، بعد سفرها مع أبويها إلى أمريكا، وإثر ذهابها للعمل بالمجال الإعلامي في أبو ظبي.

- أما في مستوى الفضاء الزمني، فتتشكل حركة الارتحال من خلال تردد فعلي التذكر والحلم، وتنغلق الذات، بأشكال مختلفة، على ذاتها: فمثلما ترتحل الشخصيات المحورية في المكان، ترتحل كذلك في الزمن، فتسترجع ماضيها أو تستشرف آتيها، وفي هذين النوعين من الارتحال: التذكر والحلم عبر خيال الذات اللامحدود خصائص مميزة أخرى من خطابها الرومنسي توحي بإفلاتها من ثقل أعباء راهنها:[٢٣]

التـــذكـــر

الذكريات المؤلمة (صفحة ١٣٠)
تذكروا أنكم أنتم الرابحون أولا وأخيرا (صفحة ١٨٩)
نصائح ظلت قابعة في ذاكرتها (صفحة ٢٢٧)
الذكريات التي يعز عليه فراقها (صفحة ٢٣٧)
كانت تذكر مواقفه معها (صفحة ٢٤٧)
أذكر كم كنت مكتئبة لسفرك (صفحة ٢٦١)
تذكرين كيف كنت أتضارب مع العيال (صفحة ٢٩١)
الدنيا كلها تحاول أن تذكرها فيه (صفحة ٣٠٥)

الحلـــــم

يصبح الزواج أروع حلم (صفحة ١٤)
كانت قمرة تحلم بالكثير (صفحة ٣٤)
تحلم... بأن يأتيها راكعا طالبا الصفح (صفحة ٤٣)
كان حلم الاختلاط بالشباب حلما كبيرا (صفحة ٥٨)
ظلت تحلم بأن يراجعها راشد (صفحة ١٤٠)
حلم الزواج من الحب الأول... (صفحة ٢٦٦)
لم يعد الحلم الوحيد والأمل الذي تعيش من أجله (صفحة ٢٨٥)
تمتلك جميع المواصفات التي طالما حلم بها (صفحة ٢٨٣)

ورغم ما يبدو في الخطاب الروائي من انفصال بين أنا الراوي والشخصيات وفضاءاتها، فإن هذا الأنا يتجه إلى أن يكون مضمنا في الأحداث:

يتبين هذا الموقع من عديد المعينات في هذا الخطاب، أهمها:

- صيغ الوصف المعبرة عن اتحاد رؤية أنا المتكلم والغائب
- وصيغ الحوار المسرود
- وصيغ التوافق بين وجهات النظر والتعليق بين الراوي والشخصيات.

أ- ففي صيغ الوصف: تتداخل الأصوات بشكل يصعب معه التمييز بين صوت الراوي وصوت الشخصية، بل يبدو الصوتان معبرين عن ذات واصفة واحدة رغم اختلاف موقعها من الأحداث، ورغم إقامة الذات المنشئة لعتبات مختلفة تبلغ من خلالها، صوتها الناقد:

" تحاول قمرة التخلص من أفكارها الخبيثة التي تتسرطن في دماغها "[٢٤]

ب- وفي صيغ الحوار المسرود، حيث ينوب أنا الراوي الشخصية في التعبير عن خواطرها تتداخل الأصوات وضمائرها فيحل الأنا محل الهو سواء في حديثه مع نفسه أو في حواره مع الآخرين، ففي حديث الشخصية مع نفسها يقول الراوي معبرا عن اتحاده مع ضميرها:

" لن ترضى لنفسها أن يملي أحد عليها ما يجب أن تفعله وما لا يجب! إذا، فما فائدة الحياة؟ إنها حياتها وحدها وتستحرص على أن تعيشها بالطريقة التي تحلو لها... لها فقط"[٢٥].

تتداخل الأصوات بشكل يصعب معه التمييز بين صوت لراوٍ وصوت لشخصية

- وفي حديث الشخصية كذلك مع غيرها يتدخل الراوي فيقيم فيما ينقله توافقا ضمن هذا الحوار، وكأنه طرف من أطرافه، لا مجرد ناقل له ومخبر عنه:

" توقف ذهن قمرة عن الاستيعاب بعد الصفعة المؤلمة، كان كل ما قاله راشد بعدها من إهانات مجرد امتداد للصفقة التي لا تريد أن تنتهي ! من دون أن تعي ما تقول وأن الوقت غير مناسب أبدا لتصريح مثل هذا (هل يجوز استخدام الأطفال كدروع بشرية وقت الحروب الزوجية؟..."[٢٦].

ت- وفضلا عن مثل هذا التدخل في الحوارات المنقولة للدفاع عن رأي دون آخر، خصوصا إذا كان ذلك الرأي لإحدى الصديقات الأربع من شخصيات الرواية المحورية كثيرا ما تقحم الذات الساردة مواقفها وتصوراتها فتتخذ من هذه الشخصيات ذريعة لصياغة رؤيتها لذاتها وللعالم: "لم يخطر ببالها (ميشيل) قبل تعرفها إلى فيصل، أن بإمكان الشاب السعودي أن يكون رومنسيا كغيره من شباب العالم المتحضر"[٢٧].

وعبر مختلف هذه الاختيارات في اللغة وتركيب عتبات الخطاب الروائي وأساليبه القصصية، يرتسم صنف آخر من اختيارات الذات في إنشاء هذا الخطاب، يساهم بدوره كذلك، في تشكيل الوجه الرومنسي لهذه الذات:

فالمرجع الواقعي الذي يبدو الخطاب الروائي ومنشئته محيلين عليه، متمثلا في تجربة الصديقات الأربع الذاتية يتماهى مع تجربة هذه المنشئة الخاصة وآمالها: " أنا كل واحدة من صديقاتي، وقصتي هي قصصهن"[٢٨].

بل أنها تنتقي من هذا المرجع ما يستجيب أكثر لانتظاراتها: " أريد حبا يملأ القلب أبدا مثل حب فيصل لميشيل. أريد رجلا يحنو علي ويرعاني مثل رعاية فراس لسديم.- هكذا أريد أن تكون حياتي "[٢٩].

وبهذا التماهي يتحول الخطاب الإحالي إلى خطاب تعبيري تنصهر فيه مرجعيات مختلفة محلية وعالمية تساهم في تشكيل أوجه ذاته المنشئة وكفاءاتها:

- تتصدر هذه المرجعيات مرجعية الخطاب الغنائي، محور استقطاب الخطاب الرومنسي، متمثلة في:

- الأشعار الفصيحة والعامية المضمنة في الرسائل الإلكترونية من مصادر عربية وغربية مختلفة اعتبرت ناجمة عن مثل ما ترويه الذات المنشئة من " هذه القصص والأحزان وخيبات الأمل "[٣٠].

- والأغاني العديدة التي تتخلل هذه الرسائل لمغنين محليين وغربيين كذلك، مرددة جوانب من الثقافة السائدة وموروثها.

تلتقي هاتان المرجعيتان، على اختلافهما في رسم بعض ملامح ذات رومنسية تعتبر نفسها "ضحية زمانها"[٣١] فتجد في تلك الجوانب ما يسهم في التعبير عن أحوالها بمختلف آلامها وآمالها، ورغم ما يتخلل هذه الرواية من مرجعيات عديدة أخرى، مثل:

- المرجعية السياسية المحيلة على الشعب الفلسطيني[٣٢]، وعلى الأمريكي مارتن لوثر كينغ[٣٣].

- والمرجعية العلمية المتعلقة ببحوث فرويد[٣٤] في مجالي التحليل الجنسي والنفسي.

- والمرجعية الأخلاقية الممثلة بقصة كلينتون مع مونيكا لوينسكي[٣٥].

- والمرجعية الوجدانية المشار إليها بـ "عيد الحب العالمي" "يوم الفالنتين"[٣٦]، رغم كل هذه المرجعيات، وغيرها مما لم نذكر، متداخلة مع خطاب الرواية المرجعي/ التعبيري، فإنها كثيرا ما توظف في تشكيل ملامح رومنسية للذات المنشئة تتكامل مع ما شكلته اختياراتها اللغوية والبلاغية والقصصية.

وفي تأليف بين ما سبق درسه من معينات الذات في خطاب "بنات الرياض" وعتباته، نتبين أنها تترابط في نطاق إبراز

هيمنة كفاءتها الرومنسية وفي جعل سائر الكفاءات الأخرى في خدمة هذه الكفاءة.

وقد ساهمت في هذه الهيمنة جملة من العوامل أهمها:

- تضخم الأنا، ضميرا وخطابا واحتواؤه لمختلف الضمائر الأخرى المفردة المحيلة على الصديقات الأربع، وإطلاقه البعض على الكل في جمع عنوان الرواية بين مختلف "بنات الرياض" بدلا من التخصيص على بنات منها فحسب (٣٧).

- تحول الخطاب الإحالي إلى خطاب تعبيري نتيجة عملية الاحتواء السابقة وما يترتب على هذا التحول من تداخل الوظيفة المرجعية مع الوظيفة الغنائية.

- بحث ذلك الأنا المتضخم عن أوجه فرادة واختلاف، تتشكل من خلال التصرف في الموروث والسائد: تصرف في مظاهر إنشاء الخطاب الروائي وطرق تبليغه.

- وتصرف في بناء مقدماته أو عتباته، فوسمت ذلك الخطاب بتشكيل رومنسي، شمل، على حد سواء: ذاته المنشئة وما أجرته من اختيارات على مختلف مرجعياتها الموروثة والسائدة.

هوامش:

تشير المؤلفة في عديد مواضع روايتها المكتوبة في شكل رسائل إلكترونية (إيميلات) إلى الإقبال المتزايد على هذه الرسائل، فتقول مثلا:

- ص ١٠٣: "بعد إيميلي الأخير، وصلني ما يقارب مائة رسالة"

أو ص ١٧٧: "قرأت من خلال الأسابيع الماضية أخبارا عن صحف محلية شهيرة كـ "الرياض" و "الجزيرة" و "الوطن" تتحدث عني. أعني عن إيميلاتي تحديدا.

المصدر: رجاء الصانع: "بنات الرياض"، دار الساقي، ط.٧، ٢٠٠٧.

٢- رجاء الصانع: "بنات الرياض"، ص ١٤٠

٣- المصدر السابق، ص. ٢٠٧

٤ - ن. م. س.، ص. ٥٦

٥- ن. م. س.، ص. ٢٠٠

٦- رجاء الصانع، "بنات الرياض"، ص. ٢٠٠، وبموجب هذا التقسيم صارت تعرف بـ" الرواية الرقمية "، سامي الجمعان: "تحولات الخطال الروائي، الرواية النسائية السعودية: نموذجا" رسالة الدكتوراه مرقونة، ص ٢٩٥.

٧-

V. chlovski: "La constiuction de la nouvelle et du roman" In: "Theorie de la litterature (Textes des formalistes russes. reunis presentes et traduits par Tzvetan Todorov. Preface de R. Jakobson. Seuil. 1965. P. 170-196.

٨ -

Christian Chelebourg: "Le romantisme". Nathan Universite 2001. P. 22.

٩ - رجاء الصانع "بنات الرياض"، ص. ٣٦

١٠ - المصدر السابق، ص. ١٠

١١ - المصدر السابق، ص ٣١٩

١٢- ن. م. س.، ص. ٥

١٣- ن. م. س.، ص. ٧

١٤- ن. م. س.، ص. ٢٠٦

١٥- من صفحات الرواية التي تتردد فيها الأشعار ص،ص. ١٢/١١، ٣٣/٣٢، ٤٨، ٥٠، ٦٧، ٢٠٦، ٢٣٢، ٢٥٨/٢٦٠، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٧، ٣٠٨.

١٦ - من صفحات الرواية التي تتردد فيها الأغاني: ص،ص. ١٣، ٦٣، ٧٤، ٧٦، ٨٧/٨٨، ١٣٣، ٢٤٧، ٢٥١/٢٥٢، ٢٦٩/٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٢.

١٧-

Christian Chelebourg: "Le romantisme". P. 46.

١٨ - صالح معيض الغامدي: "غواية البوح: قراءة في الجوانب الشكلية لرواية "بنات الرياض" ودلالاتها" الرياض: صحيفة "الجزيرة"، المجلة الثقافية،عدد ١٣٠، الاثنين، ١٩ شوال، ١٤٢٦هـ الموافق ٢١ نوفمبر ٢٠٠٧م، ص. ٣

١٩ - رجاء الصانع "بنات الرياض"، ص. ١٢.

٢٠ - رجاء الصانع، "بنات الرياض"، ص. ٣٧. ومن أمثلة ذلك الشكل في نفس الرواية: "عصافير تزقزق في فجرهما السعيد". (ص. ٣٧٢)

٢١ - المصدر السابق، ص. ٣٠٥. ويماثل الشكل المذكور في هذه الرواية التعابير المصورة التالية: "ما هذا الغباء الزفتي الذي يسفلت عقل وليد!" (ص. ٤٣)

٢٢- من أهم تأثيرات تكرار تلك الصيغ: "تمثيل مخصوص للزمن، يقوض انتظامه الخطي":

Marie Laure Bardeche: "Le principe de la repetition. literature et modernite" L'Harmattan Paris. P.32 et 152

٢٣ -

Christian Chelebourg: "Le nimautisme". P. 64 et P. 107

٢٤- رجاء الصانع، "بنات الرياض"، ص ٦٦

٢٥ - رجاء الصانع، "بنات الرياض"، ص ١٣١

٢٦- المصدر السابق، ص ١٠١

٢٧ - ن. م. س.، ص ١٠٣

٢٨ - ن. م. س.، ص ١٤٠

٢٩ - ن. م. س.، ص ٣١٣

٣٠ - رجاء الصانع: "بنات الرياض"، ص ١١٢

٣١ -

Christian Chelebourg: " Le romantisme". P. 64

٣٢ - رجاء الصانع: "بنات الرياض"، ص ٧٨

٣٣ - المصدر السابق، ص ١١٣

٣٤ - ن. م. س.، ص ٨٠

٣٥ - ن. م. س.، ص ٧٨

٣٦ - ن. م. س.، ص ٦٩

٣٧ - نشير بذلك إلى رواية من عديد الروايات ظهرت في أعقاب "بنات الرياض": "بنات من الرياض" لـ: فائزة إبراهيم، مطابع الحميضي، الرياض، ٢٠٠٧.

مصادر

الصانع، رجاء عبد الله: "بنات الرياض"، دار الساقي، بيروت، ط٧، ٢٠٠٧.

مراجع

أ- بالعربية:

- إبراهيم، فائزة: "بنات من الرياض"، مطابع الحميضي، الرياض، ٢٠٠٧.

- الغامدي، صالح معيض: "غواية البوح، قراءة في الجوانب الشكلية لرواية "بنات الرياض" ودلالاتها" الرياض: صحيفة "الجزيرة"، المجلة الثقافية،عدد ١٣٠، الاثنين، ١٩ شوال، ١٤٢٦هـ الموافق ٢١ نوفمبر ٢٠٠٧م.

ب- بالفرنسية:

- Bardeche. Marie Laure: "le principe de la repetition. litterature et modernite" L'Harmattan. Paris.

- Chelebourg. Christian: "Le romantisme" Nathan Universite. 2002.

- "Theorie de la litterature. textes des formalistes russes. reunis. presentes et traduits par Tzvetan Todorov. Preface de Roman Jakobson. Seuil. 1965.